﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة: 159]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

العَلاقَةُ بَيْنَ اسْتِنْكارِ تَحْوِيلِ القِبْلَةِ، وكَتْمِ العُلَماءِ العِلْمَ تَغْلِيظُ العُقُوبَةِ عَلى كِتْمانِ العِلْمِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَبْشَعِ الأَفْعالِ، وأَسْوَإِ الخِلالِ

لَمّا سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْ تَحْوِيلِ القِبْلَةِ، وذَكَرَ أَنَّ بعضًا مِن الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَكْتُمُونَ الْعِلْمَ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ [البقرة: 146]، ثُمَّ تَكَلَّمَ عَنْ شَرْعِيَّةِ السَّعْيِ بَيْنَ الصَّفا والمَرْوَةِ، وكَانَ السَّعْيُ بَيْنَهُمَا من أَعْمَالِ الْعَرَبِ الْمُشْرِكِينَ، فَتَحَرَّجَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ من السَّعْيِ بَيْنَهُمَا، فَكَانَ تَبْيِينُ الْحَقِّ في ذَلِكَ من الْوَاجِبِ، فَإِنَّ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ مَهْما لَحِقَهَا من سُوءٍ بِسَبَبِ فِعْلٍ خَارِجِيٍّ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدَحُ في قِيمَتِهَا، فَكَانَ بَيَانُ تِلْكَ الْقِيمَةِ والْمَكَانَةِ والْمَشْرُوعِيَّةِ، مِمَّا يَجِبُ أَلَّا يُكْتَمَ، فذَلِكَ يُنَاسِبُ الْحَدِيثَ عَنْ كَتْمِ الْعِلْمِ والْحَقِّ والْبَيِّنَاتِ، ووَجْهُ الْمُنَاسَبَةِ هُنَا أَنَّهُ لَمّا تَقَدَّمَ الْإِخْبَارُ بِحُكْمٍ شَرْعِيٍّ عَقَّبَهُ بِبَيَانِ عُقُوبَةِ الْعَالِمِ إِذَا كَتَمَ عِلْمَهُ[1]، وهَذِهِ الْآيَةُ وإِن كَانَت خَاصَّةً لِبَعْضِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا عَامَّةٌ لِكُلِّ مَن سُئِلَ عَن عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

كَتَمَ العِلْمَ حَبَسَهُ في الصَّدْرِ، والضَّنَّ به على مستحقِّه

1) ﴿يَكۡتُمُونَ﴾: مِنَ الجَذْرِ (كتم)، وهو في الأَصْلِ يَدُلُّ عَلَى إِخْفَاءٍ وسَتْرٍ؛ من ذَلِكَ: كَتَمْتُ الْحَدِيثَ كَتْمًا وكِتْمَانًا، وقَالَ اللّٰه تَعَالَى: ﴿وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ٤٢﴾ [النّساء: 42][3]، كَتَمَ السِّرَّ: سَتَرَهُ

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/475.
(2) مكّيّ القيسّي، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 1/527.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (كتم).

وأَخْفاهُ، وكذا: كَتَمَ العِلْمَ، والشَّهادةَ، وكُلُّ ما في القُرآنِ فهُوَ بِمَعْنَى حَبْسِ الْكَلَامِ عَمَّا في الْقَلْبِ مِن شَهَادَةٍ أَو عِلْمٍ أَو فِكْرٍ[1].

ما أنزله الحقّ، فهو مطلوبُهُ بحقّ

2) ﴿أَنزَلْنَا﴾: مِنَ الجَذْرِ (نزل)، وهو في الأصلِ يدُلُّ عَلَى هُبُوطِ شَيْءٍ ووُقُوعِهِ، وهو انحِطَاطٌ من عُلوٍّ، قال تعالى: ﴿أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المؤمنون: 29]، ويَتَعَدَّى بِالْحَرْفِ والْهَمْزَةِ والتَّضْعِيفِ، فَيُقَالُ: نَزَلْتُ بِهِ، وأَنْزَلْتُهُ، ونَزَّلْتُهُ[2]، وإِنْزَالُ اللّه تعالى نِعَمَهُ ونِقَمَهُ على الخَلْقِ: إعطاؤُهُم إيّاها، قَالَ تَعَالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: 1][3].

البيِّنة الدّلالة الواضحةُ، مجرّدة كانتْ أو محْسُوسة

3) ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾: مِنَ الجَذْرِ (بين)، وهو في الأصل يدل على بُعْدِ الشَّيْءِ وانْكِشَافِهِ، وبَانَ الشَّيْءُ: اتَّضَحَ وانْكَشَفَ، وفُلَانٌ أَبْيَنُ مِن فُلَانٍ؛ أَي: أَوْضَحُ كَلَامًا مِنْهُ[4]، بَانَ: انْفَصلَ، وظَهَرَ ما كان مُسْتَتِرًا مِنْهُ، بانَ الصّبحُ: ظَهَرَ، ويقال: آيَةٌ مُبَيَّنَةٌ: اعتبارًا بمَن بيَّنها، وآيةٌ مُبَيِّنَة اعتبارًا بنفْسِها، وآياتٌ مبيَّناتٌ ومبيِّناتٌ، والبَيِّنَةُ: الدَّلالةُ الوَاضِحَةُ، عَقْلِيَّةً كانَت أَو مَحْسُوسةً[5].

والْبَيِّنَات والْهُدَى: أَمْرُ النبيّ مُحَمَّد ﷺ ثُمَّ يَعُمُّ بَعْدُ كُلَّ مَا يُكْتَمُ مِن خَيْرٍ[6].

من لعنه الله هلك في الدّنيا وخاب في الآخرة

4) ﴿يَلْعَنُهُمُ﴾: مِنَ الجَذْرِ (لعن)، واللَّعْنُ: الطَّردُ والإبْعادُ على سَبِيلِ السُّخْطِ[7]، وكلُّ مَن لَعَنَهُ اللّه فَقَد أَبْعَدَهُ عَن رَحْمَتِه، واسْتَحَقَّ العذابَ فَصَارَ هَالِكًا[8]، فاللَّعْنُ مِن اللّهِ تَعالى في الآخِرَةِ عُقُوبةٌ،

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (كتم).
(2) الفيّوميّ، المصباح المنير: 2/600.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نزل)؛ الرَّاغب، المفردات: (نزل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بين).
(5) الرَّاغب، المفردات: (بين).
(6) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/231.
(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (لعن)؛ الرَّاغب، المفردات: (لعن).
(8) ابن منظور، لسان العرب: (لعن).

وفي الدُّنْيا انْقِطَاعٌ من قَبُولِ رَحْمَتِهِ وتَوْفِيقِهِ، ومِن الإنْسانِ دُعاءٌ على غَيْرِهِ، قَالَ تَعَالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: 18][1].

❁ المَعْنَى الإجْمَالِيُّ:

التَّشْنِيعُ عَلى عُلَماءِ اليَهودِ والنَّصارى، في كَتْمِ دَلائِلِ صِدْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ ورِسالَتِهِ

نَزَلَت في عُلَمَاء الْيَهُودِ في كَتْمِهم دَلَائِلَ صِدْقِ النَّبِيِّ ﷺ، وصِفَاتِهِ وصِفَاتِ دِينِهِ المَوْجودةَ في التَّوْرَاةِ، وفي كَتْمِهِم آيَةَ الرَّجْمِ، وغَيْرَهَا مِن الْأَحْكَامِ الَّتِي كَانَت في التَّوْرَاةِ[2]، وسَبَبُ النُّزُولِ لَا يَمْنَعُ عُمُومَ الْآيَةِ؛ فَهِيَ شَامِلَةٌ كلَّ مَن كَتَمَ شَيْئًا من أَمْرِ الدِّينِ؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ عَامٌّ، والْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ[3].

والمعنى العام: إنَّ الَّذِينَ يُخْفُونَ مَا أَنْزَلْنَا من الْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ المصطفى ﷺ ومَا جَاءَ بِهِ، وهُم أَحْبَارُ الْيَهُودِ وعُلَمَاءُ النَّصَارَى وغَيْرُهمْ، مِمَّن يَكْتُمُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِن بَعْدِ ما أَظْهَرْنَاهُ لِلنَّاسِ في التَّوْرَاةِ والْإِنْجِيلِ، أُولَئِكَ يَطْرُدُهُم اللَّهُ من رَحْمَتِهِ، ويَدْعُو عَلَيْهِم بِاللَّعْنَةِ جَمِيعُ الْخَلِيقَةِ[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

غَرَضُ الاسْتِئْنافِ وَتَأْكِيدُه في الآيَةِ:

فَظاعَةُ كَتْمِ العِلْمِ مِنْ أشْنَعِ ما نَدَّدَ بِهِ النَّصُّ القُرْآنيّ

الْجُمْلَةُ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ اسْتِئْنَافٌ؛ لِلاهْتِمَامِ بِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ، والْغَرَضُ بيانُ فَظَاعَةِ مَا قَامَ به أهلُ الكِتابِ مِن الْكَتْمِ، ولذلكَ جاءَ الكَلامُ مُؤَكَّدًا؛ فلمَّا كان أَهْلُ الكِتَابِ يتساهلُونَ في كِتمانِهم، ويظنّونَ أنَّهم ناجُون، كانَ لهذا التَّوكِيدِ مَحلُّه في التَّأثيرِ، وموقعُه في الأَثَرِ؛ لِدفْعِ هذه الأوهامِ، ومَحْقِ هذه الخُزعبَلاتِ.

(1) الرَّاغب، المفردات: (لعن).
(2) الواحديّ، أسباب النّزول، ص: 29، والخازن، لباب التّأويل: 1/97.
(3) الخازن، لباب التّأويل: 1/97.
(4) نخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 24.

دَلالَةُ اسْتِعمالِ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ: ﴿يَكْتُمُونَ﴾:

الوَعيدُ المَشوبُ بالرَّجاءِ تَرْغيبًا، والإخبارُ بالوَاقِعِ تَرْهِيبًا

أفادَ التَّعْبيرُ بالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ فائِدَتين: الأُولى: أَنَّ الْوَعِيدَ في هَذِهِ الْآيَةِ مَشُوبٌ بالرَّجَاءِ، فلَم يَقُل: (كَتَمُوا) بالْماضي، تَنْبيهًا عَلَى أَنَّ مَا وقَعَ مِنْهُم قَبْلَ ذَلِكَ مَعْفُوٌّ عَنْهُ، لَا يَتَنَاوَلُهُ هَذَا الْوَعِيدُ، ثُمَّ أَكَّدَ هَذَا الرَّجَاءَ بِرَجَاءٍ آخَرَ، وهُوَ أَنَّ الْكَتْمَ الصَّادِرَ مِنْهُم في الْمُسْتَقْبَلِ، إِنَّمَا يُعَاقَبُونَ عَلَيْهِ مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَيْهِ والْمُدَاوَمَةِ؛ لِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾[1]، والثَّانية: الإخبارُ باستمرارِهم في الكِتمانِ، بدليلِ الاستثناءِ؛ فهم في الجُملَةِ مُسْتمرُّون بالكِتمانِ، وبه يستحقُّون الكِتمانَ في اللَّعنِ إلى يومِ القيامةِ.

إِيثَارُ الْعُمُومِ عَلَى الْخُصُوصِ في قوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾:

كَتْمُ الجُزْءِ له حُكْمُ كَتْمِ الكُلِّ، لأنَّه اعْتِراضٌ عَلى حُكْمِ اللهِ

آثرتِ الآيَةُ التَّعبيرَ بالاسْمِ الْمَوْصُولِ الْحَرْفِيِّ الدَّالِ عَلَى الْعُمُومِ في قولِه: ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾؛ فلمْ تُعيِّنْه أو تُخَصِّصْه، وهُم وإن لَم يَكْتُمُوا جَميعَ مَا أُنْزِلَ إلَّا أنَّهم عُوملوا معامَلَةَ من كَتَمَ جَميعَ مَا أُنْزِلَ؛ لِأَنَّ مَنْ كَتَمَ شَيْئًا من كِتَابِ اللَّهِ وتَعَاليمِه؛ فكَأَنَّهُ كَتَمَ كُلَّ التَّعَاليمِ والْبَيِّنَاتِ؛ لِأَنَّ الْكَتْمَ اعْتِرَاضٌ ضِمنيٌّ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، والاعْتِرَاضُ عَلَى اللَّهِ لَا فَرْقَ بَيْنَ كَثِيرِهِ وقَلِيلِهِ.

دَلَالَة إِسْنَادِ الإِنْزَالِ لِلَّهِ تَعَالَى: ﴿أَنزَلْنَا﴾:

كِتْمانُ بيِّناتِ اللهِ أَفْظَعُ وأَشْنَعُ من كِتمانِ كلامِ غيرِه

عَبَّرَ عَمَّا يَكْتُمُونَهُ، بِأَنَّهُ أُنزِلَ من اللَّهِ تَعَالَى، ولَم يَقُلْ: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْبَيِّنَاتِ والْهُدَى)؛ لِتَعْظِيمِ الْمُنزِلِ الَّذِي كَتَمُوهُ، فَإِنَّ شَرَفَ التَّعَالِيمِ مُكْتَسَبٌ من مَصْدَرِهَا، فَلَمَّا كَانَت التَّعَالِيمُ والْبَيِّنَاتُ من وحْيِ اللَّهِ تَعَالَى، كَانَ كِتْمَانُهَا أَشَدَّ فَظَاعَةً وشَنَاعَةً.

الجمعُ بين دلالةِ تعظيمِ المُنزِلِ وتقبيحِ الكاتِمِ في قولِه: ﴿أَنزَلْنَا﴾:

عُبِّرَ بِصِيغَةِ الْفِعْلِ الْمُسْنَدِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِينَ، لِلتَّعْبِيرِ عَن

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/476-477.

خِطَابِ اللَّهِ تَعَالَى الْوَاحِد، يُرَادُ مِنْهُ التَّعْظِيمُ، وفي هذا تشْرِيفٌ وتعظيمٌ لِلمُنْزَلِ، وتشديدٌ وتقبيحٌ لكاتِمِهِ.

دَلَالَةُ حَرْفِ (مِنْ) وسِرُّ الجمْعِ بَيْنَ: ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾:

تقييدُ الكتمِ بالبيِّناتِ والهدى توسِعةٌ على العبادِ ورَحْمَةٌ

(مِنْ) هُنَا بَيَانِيَّةٌ، تُبَيِّنُ المكتوم مِن أَيِّ شَيْءٍ، وبِهَذَا فَإِنَّ كَتْمَ مَا لَيْسَ مِن الْبَيِّنَاتِ لَيْسَ مَذْمُومًا؛ فَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ كَتْمُ غَيْرِ ذَلِكَ، ممَّا لا يتَّصِفُ بأنَّه من البيِّناتِ والهُدى، أي: ممَّا لا يَنبني عَلَيْه بيانٌ أو هِدايةٌ، وهذا سرُّ الجمعِ بينَ هاتين الكَلِمتَيْنِ.

سِّرُّ إفْرادِ الهُدى وتَأْخِيرِهِ عن البيِّنات في قَوْلِهِ: ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾:

البيِّناتُ توضيحٌ للغَوامِضِ، والهُدَى لما يُستَقبلُ منها

جاءَ التَّعبيرُ بإفرادِ الهُدى وَلَم يُجْمَع "مِثْلَ الْبَيِّنَاتِ؛ لِكَوْنِهِ مَصْدَرًا"[1]، فيُؤدِّي معنى الجَمْعِ، وأُخِّرَ عَن الْبَيِّنَاتِ؛ لأنَّ البيِّناتِ هي لما سبَقَ الكَلامُ عليه من بعثةِ النَّبيِّ ﷺ، فهُم يَكتُمونَ ما يجبُ بيانُه ممَّا هو مُتوقِّفٌ على البيانِ، وأمَّا الهُدَى فأُخِّر لأنَّ الهدايةَ تكونُ لمَا يُستَقبَلُ من الأعمالِ، "إِذِ الْهِدَايَةُ بَعْدَ الْوُضُوحِ"[2].

مَدْلولُ (مِنْ) الابْتِدائِيَةِ في قولِهِ: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ﴾:

كِتْمانُ البَيِّناتِ مَعَ انْتِفاءِ العُذْرِ مِنْ أَكْبَرِ الخَطيئاتِ

(مِنْ) في قَوْلِهِ: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ﴾ ابْتِدَائِيَّةٌ، يَعْنِي: بَدَأَ كِتْمَانُهُم بَعْدَ الْبَيَانِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِزِيَادَةِ التَّفْظِيعِ لِحَالِ الْكِتْمَانِ، وذَلِكَ أَنَّهُم كَتَمُوا الْبَيِّنَاتِ والْهُدَى، مَعَ انْتِفَاءِ الْعُذْرِ في ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُم لَو كَتَمُوا مَا لَم يُبَيَّنْ لَهُمْ، لَكَانَ لَهُم بَعْضُ الْعُذْرِ أَن يَقُولُوا: كَتَمْنَاهُ لِعَدَمِ اتِّضَاحِ مَعْنَاهُ، فَكَيْفَ وهُوَ قَد بُيِّنَ ووُضِّحَ في التَّوْرَاةِ[3]!

دَلالَةُ حرْفِ اللَّامِ في قَولِهِ ﴿بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ﴾:

اللَّامُ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿لِلنَّاسِ﴾ للتَّعْلِيلِ، أَي: بَيَّنَّاهُ في الْكِتَابِ لِأَجْلِ

(1) القُونَوِيّ، حاشيةٌ على البيضاوِيّ: 4/385.
(2) القُونَوِيّ، حاشيةٌ على البيضاوِيّ: 4/385.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/67.

النَّاسِ، أَيْ: أَرَدْنَا إِعْلَانَهُ وإِشَاعَتَهُ، أَيْ: جَعَلْنَاهُ بَيِّنًا، وفِي هَذَا زِيَادَةُ تَشْنِيعٍ عَلَيْهِمْ، فِيمَا أَتَوْهُ مِن الْكِتْمَانِ، وهُوَ -أَنَّهُ مَعَ كَوْنِهِ كِتْمَانًا لِلْحَقِّ، وحِرْمَانًا مِنْهُ- اعْتِدَاءٌ عَلَى مُسْتَحِقِّهِ الَّذِي جُعِلَ لِأَجْلِهِ؛ فَفِعْلُهُم هَذَا تَضْلِيلٌ وظُلْمٌ[1].

الاعْتِداءُ بِحِرْمانِ الـمُسْتَحِقِّ ما قُـرِّرَ لَـهُ ظُـلْـمٌ وتَسَلُّطٌ

دَلَالَةُ الظَّرْفِيَةِ فِي قَولِهِ: ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾:

تشير شبه الجملة إلى مَكَانِ التَّبْيِينِ، وهَذَا تَخْصِيصٌ، فَيَكُونُ التَّبْيِينُ مَعْرُوفًا لَا غِشَاوَةَ عَلَيْهِ، مَعْرُوفًا لَدَيْهِمْ، يَتْلُونَهُ فِي الْكِتَابِ، وهَذَا يُفِيدُ زِيَادَةَ الذَّمِّ؛ فَهُم يَعْلَمُونَ أَنَّهُم يَكْتُمُونَ عَن إِصْرَارٍ وعِنَادٍ، "ومَعْنَى كِتْمَانِهم فِي الْكِتَابِ: أَنَّهُ وقَعَ فِي الْكِتَابِ، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِالْكِتْمَانِ، إِمَّا سَتْرُهُ وإِخْفَاؤُهُ، أَو إِزَالَتُهُ ووَضْعُ شَيْءٍ آخَرَ مَوْضِعَهُ؛ فَإِنَّهُم مَحَوْا نُعُوتَهُ ﷺ، وكَتَبُوا مَكَانَهَا مَا يُخَالِفُهَا، وهُوَ الْمُعَبَّرُ عنه بِالتَّحْرِيفِ، وهَذَا هُوَ الْمُرَادُ هُنَا"[2].

تَحْرِيفُ الكُتُبِ الـسَّـمـاوِيَّـةِ، نَتِيجَةٌ لِسَيْطَرَةِ الأَهْواءِ البَشَرِيَّةِ

دَلَالَةُ التَّعْرِيفِ فِي لَفْظِ ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾:

الظَّاهِرُ أَنَّهُ يَعْنِي بِهِ الْكِتَابَ الَّذِي ذُكِرَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ، وهُوَ التَّوْرَاةُ، وقَد يَكُونُ الْمُرَادُ بِالْكِتَابِ اسْمَ الْجِنْسِ، وتَعْرِيفُهُ بِالْأَلِفِ واللَّامِ، يُفِيد شُمُولَهُ لِجَمِيعِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ[3]، والْأَوَّلُ أَرْجَحُ؛ لِأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ عَن مَعْهُودٍ، "واللَّامُ فِيهِ لِلْعَهْدِ؛ بِقَرِينَةِ أَنَّ الْكَتْمَ وقَعَ مِن الْيَهُودِ، وكِتَابُهُم التَّوْرَاةُ"[4]، وهذا وإِنْ كانَ هو الرَّاجحَ؛ فيدخلُ فيه كلُّ كتابٍ سماويٍّ بدلالةِ الفحوى.

سِرُّ اسْتِعْمَالِ اسمِ الْإِشَارَةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾:

جاءَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ اسْمَ إِشَارَةٍ؛ لِتَمْيِيزِهِ بِمَا يَخُصُّهُ، فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الَّذِينَ يَكْتُمُونَ العِلْمَ، والْإِشَارَةُ إِلَى مَوْصُوفٍ بِوَصْفٍ، تدلُّ على

كِـتْـمانُ العِـلْـمِ وإِخْـفـاءُ الحَـقِّ مُـبْـعِـدٌ صاحِبَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/67.
(2) القُونَوِيّ، حاشيةٌ على البيضاوِيّ: 4/386.
(3) القِنَّوجيّ، فتح البيان: 1/323-324.
(4) القُونَوِيّ، حاشيةٌ على البيضاوِيّ: 4/386.

أَنَّ الْوَصْفَ عِلَّةٌ لِلْحُكْمِ، فَكِتْمَانُ العِلْمِ عِلَّةٌ لِلإِبْعَادِ عَن رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى[1]، والتَّعْبِيرُ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ بَعْدَ تَعْقِيبِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ بِأَوْصَافٍ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُشَارَ إِلَيْهِ جَدِيرٌ بِمَا يَرِدُ بَعْدَه[2]، وهو بعيدٌ عن منزلةِ القَبولِ والرَّحمةِ، ففي الإشارةِ إلى معنى الإبعادِ في اسمِ الإشارةِ، توطئةٌ إلى الإبعاد في اللَّعن.

دلالةُ خُلُوِّ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ من حرفِ الفَاءِ:

التَّنبيهُ على كثرةِ أسبابِ لعنِ الكاتِمين

وردَ كَثِيرًا في الْقُرْآنِ اقْتِرَانُ الْفَاءِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ الْوَاقِعِ خَبَرًا، كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة: 81]، وقوله ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء: 146]، فَاسْمُ الْإِشَارَةِ هُنَا خَبَرٌ عَن اسْمِ ﴿إِنَّ﴾، ولَكِنَّهُ لَم يَقْتَرِن بِالْفَاءِ؛ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ سببَ لَعْنِهِم هو أَذَاهُم للرَّسُولِ الأكرم ﷺ، وعِبَادَتُهُمُ الْعِجْلَ، وطَلَبُ رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى عِيَانًا، وغيرُها، لَا بخصُوصِ سببِ الْكِتْمَانِ، فَالْكِتْمَانُ لَيْسَ سَبَبًا وَحِيدًا لِذَلِكَ اللَّعْنِ، بَل هُوَ سَبَبٌ مَعَ أَسْبَابٍ أُخْرَى[3].

دَلَالَةُ التَّجَدُّدِ في قولِه: ﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾:

تَـجَـدُّدِ اللَّـعنِ ناشِئٌ عن تجَدُّدِ الكِتمانِ

اخْتَارَت الآيةُ الْفِعْلَ الْمُضَارِعَ في التَّعْبِيرِ عَن لَعْنِهِمْ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّجَدُّدِ؛ لِأَنَّهُم مَا زَالُوا يَكْتُمُونَ الْحَقَّ، فناسَبَ التَّعبيرُ عن تجدُّدِ كتمانِهم بتجدُّدِ لعنِهم، وهذا من عدالةِ النَّظمِ، النَّاشئةِ عن عدالةِ الجزاءِ.

بَلاغَةُ الِالْتِفاتِ من التَّكلُّمِ إلى الغَيْبةِ

لَم يَقُلْ: (نَلْعَنُهُمْ)، أَوْ (لَعَنَّاهُمْ)؛ جَرْيًا عَلَى قولِهِ: ﴿أَنْزَلْنَا﴾،

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/480.
(2) القُونَوِيّ، حاشيةٌ على البيضاوِيّ: 4/386.
(3) القُونَوِيّ، حاشيةٌ على البيضاوِيّ: 4/386.

﴿بَيَّنَّاهُ﴾ بصيغةِ المُتكلِّم، ولَكِنَّهُ اسْتَعْمَلَ صيغَةَ الْغَائِبِ بِاسْتِعْمَالِ الاسْمِ الظَّاهِرِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى إِظْهَارِ السُّخْطِ عَلَيْهِمْ، ولِلْإِشْعَارِ بِغِلَظِ اللَّعْنِ، ويُكون الْكَلَامُ أَكْثَرَ وقْعًا في لَعْنِهِمْ، وطَرْدِهم مِن رَحْمَةِ اللَّهِ تعالى.

دَلَالَةُ تَكْرَارِ الْفِعْلِ ﴿يَلْعَنُهُمُ﴾:

لـعْـنَـةُ الـلَّـهِ أصـلٌ تشريعيٌّ للعبادِ، يُعمَلُ بـمـقـتـضـاه التَّشريعيّ

كرَّرَتِ الآيةُ اللَّعنَ تَمْيِيزًا بَيْنَ مَعْنى اللَّعْنتَين؛ فَإِنَّ اللَّعْنَ من اللَّهِ تعالَى الْإِبْعَادُ عَن الرَّحْمَةِ، واللَّعْنَ من الْبَشَرِ الدُّعَاءُ عَلَيْهِمْ[1]، وفَائِدَةُ التَّكْرَارِ هُنَا الْمُبَالَغَةُ في تَأْكِيدِ الذَّمِّ، وتَشْنِيعِ فِعْلِهِمْ، فَدَلَّ النَّصُّ عَلَى التَّمَايُزِ بَيْنَ اللَّعْنَتَيْنِ، وهَذَا فِيهِ مُبَالَغَةٌ في لَعْنِهِمْ؛ حَيْثُ إِنَّهُم اسْتَحَقُّوا لَعْنَةً من اللَّهِ؛ لِأَنَّهُم كَتَمُوا تَعَالِيمَهُ، واسْتَحَقُّوا اللَّعْنَةَ من النَّاسِ، لِأَنَّهُم كَتَمُوا تَعَالِيمَ اللَّهِ عَنْهُمْ، ولعنةُ الله تعالى هي الأصلُ التَّشريعيُّ في الأمرِ بلعنِهم، إذِ الإخبارُ عن فعلِ الله في النَّاس، هو أمرٌ بالمتابعةِ اعتقادًا أو قولًا أو فعلًا؛ فمن لعنَه اللهُ أو حكَمَ بكفرِه، فهو ملعونٌ كافرٌ، ومن قالَ بخلافِ ما حكَمَ اللهُ به فقد ناوأ الله تعالى في حُكمِه، وأتَى عظيمةً من عظائمِ العقائدِ.

دَلَالَةُ التَّعْرِيفِ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ٱللَّٰعِنُونَ﴾:

مَنْ لَعَنَهُ اللهُ، غَضِبَ عَلَيْهِ، وأَغْضَبَ عَلَيْهِ خَلْقَهُ

(الْ) في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ٱللَّٰعِنُونَ﴾ لِلاسْتِغْرَاقِ، أَي: يَلْعَنُهُم كُلُّ لَاعِنٍ، وفي هَذَا مُبَالَغَةٌ في اللَّعْنِ، وبَيَانٌ لِشَنِيعِ مَا صَنَعُوا، و﴿ٱللَّٰعِنُونَ﴾: "أَي الَّذِينَ يَتَأَتَّى مِنْهُمُ اللَّعْنُ عَلَيْهِم؛ مِن الْمَلَائِكَةِ والثَّقَلَيْنِ"[2]، وكيفيَّةُ لَعْنِهم: أنْ "يَسْأَلَ رَبَّهُم اللَّاعِنُونَ أَن يَلْعَنَهُمْ؛ لِأَنَّ كُلَّ لَاعِنٍ إِنَّمَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ الْعَنْ هَذَا"[3].

قوَّةُ جِنَاسِ الاِشْتِقاقِ في قوله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾:

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ فِيهِ جِنَاسُ الاِشْتِقَاقِ، فَكِلَا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/68.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/116.
(3) مكّيّ القيسّي، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 1/528.

اللَّفْظَيْنِ مَأْخُوذٌ مِن (لَعَنَ)، وهُوَ مِن الْمُحسّنَات الْبَديعيَّة، فَتَكْرَارُ الْجذْرِ باشتقاقَيْنِ مُتَبَاينَيْنَ لَهُ قوَّةٌ صَوْتيَّةٌ في الْأُذُنِ، ويزدَادُ جَمَالُه الصَّوتيُّ بمجيئِه في فَاصلَةِ الْآيَةِ.

دَلالَةُ الْمُتَشابِهِ اللَّفْظيّ بين الآيَةِ وغَيْرِها مِنَ السُّوَرِ:

عَلى قَدْرِ الجُرْمِ تَكونُ العُقوبَةُ

وَرَدَت في الْقُرْآنِ آيَاتٌ تَتَشابَهُ مَعَ هذه الْآيَةِ ففي سورةِ البَقَرَةِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾ [البقرة: 174]، وفي آل عمران قولُه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧﴾ [آل عمران: 77].

فَلِلسَّائِلِ أن يَسْأَلَ عَن تَخْصيصِ آيَتَي الْبَقَرَةِ بِذِكْرِ الْكَتْمِ بقَوْلِه ﷻ في الْآيَتَيْنِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾؟ والْجَوَابُ عَن الْآيَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ أَنَّهُ لَمّا تَقَدَّمَ قَبْلَهُمَا في السُّورَةِ نَفْسِهَا قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤٢﴾ [البقرة: 42]، فَنَهَاهُم اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَن الْكَتْمِ، ولَم يَجْرِ مَعَ هَذَا النَّهْيِ ذِكْرُ جَزَاءٍ في هَذِهِ الْآيَةِ، فَلَمَّا خَالَفُوا وكَتَمُوا بَعْدَ أَن حُذِّرُوا عَن الْكَتْمِ، ورَدَتِ الْآيَةُ بَعْدُ مُعَرِّفَةً بِجَزَاءِ مَن كَتَمَ بَعْدَ أَن حُذِّرَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾، فَذَكَرَ حَالَ الْكَاتِمِينَ، وجَزَاءَهُم الْمُتَرَتِّبَ عَلَى فِعْلِهِمْ، مِن اسْتِحْقَاقِ اللَّعْنِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، ومِمَّن ذَكَرَ مِن عِبَادِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ تَدَارَكَ مَن تَابَ مِنْهُمْ، وأَصْلَحَ، وبَيَّنَ، بَعْدَ أَن كَانَ كَتَمَ، فَلَمَّا بَيَّنَ في هَذِهِ الْآيَةِ أَمْرَ هَؤُلَاءِ، أَعْقَبَ في الْأُخْرَى بَعْدَ ذِكْرِ حَالِ الْمُتَمَادِينَ عَلَى مُرْتَكَبِهِم مِن الْكَتْمِ، ومَا زَادُوا إِلَى ذَلِكَ مِن الْآثَامِ، فَجَاءَ الْجَزَاءُ بِزِيَادَةٍ مِن الْعِقَابِ، مُوَازِنَةً لِزِيَادَةِ الْمُرْتَكَبِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٤﴾ [البقرة: 174].

وَلَم يُذْكَر لِهَؤُلَاءِ حَالُ تَوْبَةٍ؛ إِن تَابُوا لِسُوءِ الْمُرْتَكَبِ، ولَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُم لَا تَوْبَةَ لَهُمْ، ولَكِنَّ عَدَمَ ذِكْرِهَا أَوْقَعُ في الْإِغْلَاظِ؛ لِمَا ذَكَرَ مِن سُوءِ مُرْتَكَبِهِمْ؛ لِيَجْرِيَ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا

يُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: 174]؛ فَإِنَّ التَّزْكِيَةَ تَطْهِيرٌ مِن الْإِثْمِ، فَلَمْ يَكُنْ لِيُلَائِمَ هُنَا ذِكْرَ التَّوْبَةِ، والْآيَةُ في سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ورَدَتْ في إِثْمٍ مَخْصُوصٍ غَيْرِ الْكَتْمِ، وقَد يَكُونُ مِن غَيْرِ الْكَاتِمِينَ، فَهُوَ يَقَعُ مِنْهُم ومِنْ غَيْرِهِمْ، فَانْفَرَدَ هَذَا الْإِثْمُ الشَّنِيعُ بِمَا تُوُعِّدُوا عَلَيْهِ مِن الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ[1].

(1) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 1/59-61.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»